جامعة تكريت المادة: التعبير القرآني

كلية التربية للعلوم الإنسانية المرحلة: دكتوراه/ لغة

قسم اللغة العربية أستاذ المادة: أ.د. محمد ياس خضر

❖ أثر البنية الصرفية في التعبير القرآني:

للصرف مقام عالٍ في اللغة العربية وهو المستوى الثاني من مستويات اللغة وله أهمية كبرى حتى قيل إنّ النحو أبو العلوم والصرف أمها، وعلم الصرف يبحث في هيأة اللفظ(الوزن) لا في صورة اللفظ.

إنّ القرآن الكريم يستعمل البنية الصرفية دون غيرها مما يشاركها في بابها ولا ريب أن التعبير بالمصدر، مثلا، له دلالة غير تلك التي للفعل فما الحكمة في اختيار بنية المصدر دون أختها التي تشاركها في بنائها الأصلي، وما الحكمة في اختيار المصدر دون الفعل، أو بنية اسم الفاعل، أو صيغة المبالغة؟ فإذا سلمنا أن لكل حرف وجد في القرآن الكريم مساهمة في بناء عباراته وجمله فإنه يمثل بهذا الوجود حكمة ما فما هذه الحكم؟

إن ذلك يكون لحكمة أداء المعنى القرآني الذي يراد الإشارة إليه وهو في الوقت نفسه إشارة إلى اختلاف المعاني تبعا لاختلاف البنية الصرفية بالملازمة ذلك بأن المعنى الصرفي خدم للمعنى القرآني.

ولما كان التعبير القرآني دقيقاً في اختيار الألفاظ، نجده أيضاً في غاية الدقة في اختيار الصيغ واستعمالها في المواضع التي يقتضيها السِّياق، فالسِّياق القرآني يستعمل الصيغة الواحدة استعمالاً في غاية الدقة والجمال إلى الحدّ الذي لا يمكن معه وضع صيغة موضع أخرى مهما بدت شديدة الشبه بها.

❖ الفرق بين اللفظة والبنية:

يظهر الفرق بين اللفظة والبنية من خلال بيان الدلالة المعجمية والدلالة الصرفية ، على ما نبينه :

الدَّلالة المعجمية :

وهي الدلالة الأساسية التي تمثل ((جوهر المادة اللغوية المشترك في كل ما يستعمل من اشتقاقاتها وأبنيتها الصرفية)) [١].

وأطلق عليها ابن جني (الدلالة اللفظية)، وقال: ((ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره))[٢]، أي قام يدل على القيام، وعدّها أقوى الدلالات((فأقواهنّ الدّلالة اللفظية))[٣]، لبيانها معاني المفردات اللغوية، فهي تحتوي قيمة أساسية من خلال اللفظ نفسه .

الدّلالة الصّرفية :

وهي نوع من أنواع الدّلالة الفرعية، إذ يُقصد بها الدّلالة التي تُستمد من طريق الصيغ وبنيتها[٤] لأنّها تمثل معنى الوزن، إذ فيه زيادة لم تكن موجودة في اللّفظ نفسه[٥]، نحو : ضارَب الدال على معنى المشاركة، المغاير لمعنى اللفظ وهو ضَرب .

وأطلق عليها ابن جني (الدّلالة الصّناعية)، وهي تلي عنده الدّلالة اللّفظية من حيث القوة؛ لأنّها هيأة حملها اللفظ ، فهي دلالة البناء على معنى من المعاني، قال: ((وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قِبَل أنها وإن لم تكن لفظاً فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها، ويستقر على المثال المعتزم بها فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة))[٦].

فضلا عن ذلك فإنَّ ((لبنية الكلمة أهميةً في تحديد معناها فعن طريق البنية وصيغها المختلفة تبرز المعاني وتُحَدَّد))[٧]

---

(١) علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق ، د. فايز الداية : ٢٠ .

(٢) الخصائص ، ابن جني : ١٠٠/٣ .

(٣) نفسه .

(٤) ينظر : دلالة الالفاظ، ابراهيم أنيس : ٤٧ .

(٥) ينظر : أوزان الفعل ومعانيها ، د. هاشم طه شلاش : ٤٢ ، وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق : ٢١ ، وعلم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر : ١٣.

(٦) الخصائص : ١٠٠/٣ .

(٧) علم الدلالة عند العرب د.عليان بن محمد الحازمي : ٧١٢ ، بحث منشور.

أو هي: ((الأثر المعنوي المستفاد من بنية الكلمة، ومن التغييرات التي تحولها إلى أبنية مختلفة، بالإضافة إلى المادة المعجمية))[٨] .

وسماها _دلالة البنية_ بعض الباحثين: ((المعنى المستفاد من الصيغة الصرفية، والمراد بالصيغة هنا اتخاذ وزن معين بدلالة أمثلة لغوية معينة، وتتناول الدلالة الصرفية الجوانب الشكلية التركيبية للصيغ والموازين الصرفية))[٩].

❖ البنية الصرفية من حيث الأصلُ والاشتقاق:

عَدَّ كثيرٌ من العلماء بنية المجرد أصلية والمزيد فرع عنها مشتق منها؛ ذلك لأنّ الصّرفيين لم يستقصوا معاني المجرد كما فعلوا مع المزيد؛ ولأنها كثيرة ولا تكاد تنحصر، ولاسيما بناء (فَعَل)، لأنّ اللفظ إذا خفّ يكثر استعماله ويُتّسع التصرف فيه[١٠].

ويبدو أنّ الفعل المجرد فيه مسألتان، إحداهما: أنّ الغالب فيه أنْ تكون دلالته معجمية، أي اللفظة نفسها، وكأنه الأصل؛ لأنه خالٍ من الزيادات التي تقيد الفعل أو تنقله من دلالته المعجمية إلى دلالته الصّرفية؛ لأنّ دلالة الفعل المجرد عند ابن جني لفظية بالنظر إلى الحدث، وصرفية بالنظر إلى الزمن، وعند غيره من الصّرفيين يرون أنه استُعمِل لمعانٍ كثيرة لخفة لفظه، إلاّ أنّنا لو دققنا النظر فيها لوجدناها لفظية.

والذي يبدو أنّ الفعل المجرد يحمل معنى صرفياً عاماً غير مقيد بدلالة معينة كما نرى ذلك في الأبنية المزيدة ، وهذا المعنى العام مختزل في اللفظ نفسه، فإن نقل إلى المزيد ظهر وقُيد به فالمجرد دلالته عامة والمزيد خاصة.

والأخرى: أنّ البناء المجرد دلالته عامة غير مخصصة، أو بعبارة أخرى أنّه محتمل الدّلالة، فإنْ نُقِل إلى المزيد تخصص بدلالة معينة يحددها الحرف الزائد، أو

([٨]) الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم : ٦١_٦٢ .

([٩]) الدلالة الصوتية والصرفية في سورة يوسف ، د.نادية رمضان النجار : ١٦ بحث منشور.

([١٠]) ينظر : شرح المفصل ، ابن يعيش : ٤٥٤/٣ ، وشرح الرضي على الشافية : ٧٠/١ .

معنى من المعاني، لأنّ الزيادات في الغالب دخلت الأفعال لتقيدها بمعانٍ معينة، وهذا نوع من الترقي في الدلالة المعجمية إلى الصرفية مع بقاء دلالة الجذر أو تغيرها.

ومن هنا يمكن أن نقول: أن البنية المجردة أصل والمزيدة فرع عنها مشتقة منها.

أما دور السياق في كشف دلالات الأبنية فيظهر في:

أن معظم دلالات الأبنية تحددها السياقات ومقتضيات الأحوال، ولاسيما الأبنية المشتركة كصيغة(مَفعَل) بين اسم المكان واسم الزمان فالسياق هو الذي يحدد دلالات مثل هذه الأبنية.

والبحث في الصِّيغة من خلال سياقها يُعدُّ من أهم القرائن اللَّفظيَّة التي تُعين على فهم الخطاب، فالصِّيغة قادرة على تفسير السِّياق الخطابيِّ ولا سيما فيما يتعلَّق بنظم القرآن الكريم.

❖ الظواهر الصرفية في التعبير القرآني:

أولاً: دلالة الأصل:

إنّ معاني الأبنية تكون على أحوال كثيرة أوجبت تصريف الألفاظ للحاجة إلى الدلالة عن كل حال ببنية خاصة تدل على ذلك المعنى، قال ابن يعيش: ((ولما كان المعنى يكون على أحوال كثيرة كمعنى المُضيّ، والحال والاستقبال، والفاعلية، والمفعولية، وغيرها، كانت الحاجة إلى الدلالة على كل حال منها ماسّة، لم يكن بُدّ من لفظ خاصّ يدلّ على ذلك المعنى بعينه، فلهذا وجب التصريف، واختلاف الأبنية بالزيادة والنقص والتغيير ونحو ذلك، ليدل كل لفظ على المعنى المراد))[١١].

ومعنى دلالة الأصل أن ننطلق من أصل البنية الصرفية أوّل ما استعملت فيه، فصيغة اسم الفاعل مثلاً أصل دلالة وضعها أن تدل على الحدث وصاحبه، ويقال

([١١]) شرح الملوكي: ٩٥- ٩٦ .

بعدها: ظبْي شادنٌ، وناقة ضامرٌ، وفي هذا خروج عن دلالة أصل وضعها اللغوي، والدلالة فيهما على الصفة.

ومن أمثلة دلالة الأصل (**مرضعة**) في قوله تعالى :﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ (الحج، الآية :٢) فـ(مرضعة) جاءت على أصل وضعها اللغوي، وفيها الدلالة على الحدث والذات بـ(التاء) لأنّ أصل الوضع الصرفي أنْ يُغَاير بين المذكر والمؤنث بـ(التاء) في اسم الفاعل، وقد جاء في استعمال العرب(مرضع) بدلاً من (مرضعة) وهو خروج وعدول عن أصل الوضع اللغوي، و(مرضع) خروج من دلالة اسم الفاعل الدال على الحدث والذات إلى الصفة المشبهة وهي هنا تدل على المرأة ذات الإرضاع أي من دام منها هذا الوصف، والقران الكريم استعمل (مرضعة) لأنها هي المرادة في هذا السياق، أي في حال إرضاعها، فالحدثية هي المرادة.

ثانياً: دلالة عدول(العدول الصرفي):

العدول: هو خروج الكلام عن المعيار، أو عن النسق المألوف، أو مخالفة القاعدة، ويقصده المتكلم أو الكاتب لخدمة النص[١٢]. وفي البنية الصرفية في التعبير القرآني: هو أن يعدل السياق من بنية إلى بنية أخرى لأصل واحد، وهو مرتبط بالسياق.

ومن أمثلة العدول الصرفي في القرآن الكريم العدول عن (كسَبَ) إلى (اكتَسَبَ) في قول الله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة، الآية :٢٨٦) ففي سياق الآية الكريمة تغاير بين صيغتين صرفيتين لأصل واحد(كسب) وكسب بناء يجي في فعل الخير، وأما بناء(اكتسب) فإنه يدلّ على الاعتمال والتكلّف الذي يناسب الشرّ، وإنّ الخير طبع وفطرة لا يحتاج إلى تَكلّف، قال الزمخشريّ: ((فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال))[١٣].

ثالثاً: دلالة تغاير(تغاير الصيغ الصرفية في القرآن الكريم):

---

(١٢) ينظر: الإعجاز الصرفي لعبد الحميد هنداوي: ١٤١، وأثر الوظيفة التواصلية في البنية الصرفية للطاهر شارف: ١٣٧.

(١٣) الكشاف : ٤٠٨/١، وينظر: جماليات المفردة القرآنية: ٢٤٦.

تتنوع الصيغ الصرفية ذات الأصل الاشتقاقي الواحد في سياقات القرآن الكريم من هيئة إلى هيئة أخرى بحيث لاتحل إحداهما محل الأخرى نظراً لما تختص به كل منهما بخاصية دلالية زيادة على ما فيها من وظيفة صرفية، فالصيغ الصرفية في التعبير القرآني جاءت غاية في الدقة والجمال لتأدية المعنى المراد.

ومن أمثلة التغاير في الصيغ الصرفية ما جاء في التعبير القرآني من أوصاف الحق سبحانه من أنّه (**غافر، وغفور، وغفّار**)، فقالوا: (غافر) تدل على المرّة الواحدة، وجاءت هذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، و(غفور) تدل على الدوام والثبوت لمن دام منه المغفرة، و(غَفَّار) تدل على التكرار لمن يغفر مرّة بعد أخرى، وأمثلتها كثيرة في التعبير القرآني(١٤).

رابعاً: دلالة الحمل على المعنى:

الحمل على المعنى: هو أن ((يعطى الشيء حكم ما أشبهه في معناه أو في لفظه أو فيهما))(١٥). وقال ابن جني في باب الحمل على المعنى: ((اعلم أن هذا الشَرْج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلًا كان ذلك اللفظ أو فرعًا))(١٦)، فالحمل على المعنى هو حمل اللفظ على معنى لفظ آخر.

ومن أمثلة الحمل على المعنى في التعبير القرآني (أليم) في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٧]، حيث جاءت (أليم) بمعنى (مؤلم) قال ابن عاشور في (أليم): ((وإِمَّا أَنْ يَكُونَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفْعِلٍ أَيْ مُؤْلِمٍ بِكَسْرِ اللَّامِ))(١٧). وإنما جاء (مؤلم) على صيغة (فعيل) ليدل على الثبوت، وهو العذاب الدائم المستمر، وهو معنى مستفاد من الصيغة.

---

(١٤) ينظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، للدكتور محمد ياس خضر: ٢٤٣-٢٤٥ ، ٢٤٩-٢٥٤.

(١٥) مغني اللبيب لابن هشام: ٨٨٤/١.

(١٦) الخصائص لابن جني: ٤١٣/٢.

(١٧) التحرير والتنوير: ٢٨٢/١.